

دلائل الإعجاز

التأمل ومُواطبة على التدبير وإلى همّة تأبى لك أن تقنع إلا بالتّمام وأن
تَرْبَعَ إلاّ بعد بلوغ الغاية .
ومتى جَشِمْتَ ذلك وأبيت إلا أن تكون هنالك فقد أمتت إلى غرض كريم وتعرّضت لأمرٍ
جسيم وآثرت التي هي أتمُّ لدينك وفضلك وأنبلُ عند ذوي العقول الرَّاجحة لك . وذلك
أن تعرف حُجّة الله تعالى من الوجه الذي هو أضوأُ لها وأنوه لها وأخلقُ بأن يزداد
نورها سطوعاً وكوكبها طُلوعاً وأن تسلك إليها الطريق الذي هو آمَنُ لك من
الشكّ وأبعدُ من الرّيب وأصحُّ لليقين وأحرى بأن يُبلّغَكَ قاصدية التبيين .
واعلم أنه لا سبيل إلى أن تعرف صحّة هذه الجملة حتى يبلغ القول غايته
وينتهي إلى آخر ما أردتُ جمعه لك وتصويره في نفسك وتقريره عندك إلا أن هاهنا
نُكّته إن أنت تأمّلتها تأمُّل المتنبّات ونظرت فيها نظراً المُتدّانِ رَجوتُ أن
يَحْسُنَ ظَنُّكَ وأن تنشطَ للإصغاء إلى ما أُورده عليك . وهي أنّنا إذا سُقنا دليل
الإعجاز فقلنا : لولا أنّهم حين سَمِعوا القرآن وحين تُحَدِّثُوا إلى معارضته سمعوا
كلاماً لم يسمعوا قطُّ مثله وأنهم قد رازوا أنفسهم فأحسُّوا بالعجز عن أن يأتوا بما
يُوازيه أو يُدانيه أو يقع قريباً منه لكان مُحالاً أن يدعوا معارضته وقد تُحَدِّثُوا
إليه وفُزُّوا فيه وطُوبُوا به وأن يتعرضوا للشّبا الأسنّة ويفتحوا موارد الموت
فقلنا : قد سَمِعنا ما قلتم فخبّرُونا عنهم عمّا ذا عجزوا عن معانٍ في
دِقّة معانيه وحُسْنها وصحّتها في العقول أم عن ألفاظٍ مثل ألفاظه فإنّ قلتم عن
الألفاظ فماذا أعجزهم من اللفظ أم ما بهرهم منه فقلنا : أعجزتهم مزايها ظهرت لهم
في نظمها وخصائصها صادفوها في سياق لفظها وبدائع راعتهم من مباديء آيها ومقاطعها
ومجاري ألفاظها ومواقعها وفي مضرب كلِّ مثلٍ ومساق كلِّ خبرٍ وصورة كلِّ عظةٍ
وتنبيهٍ وإعلامٍ وتذكيرٍ وترغيبٍ وترهيبٍ ومع كلِّ حُجةٍ وبُرهانٍ وصفةٍ وتبيان .
وبهرهم أنّهم تأمّلوه سورةً سورةً